لتعظيمه يعني قدم المبتدأ واستانف بعد الكلام لانه مسند اليه والاصل في المسند اليه ان يتقدم ذكره
اذا اشتغل بمقتضى الحدود وعدمه هذا الاصل كان في الجملة الفعلية فان كون المسند عاملا في المسند اليه قضى الحدود
عن تقديم المسند اليه لان حق العامل ان يتقدم على معموله قوله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما
اشارة الى ما يرد على قوله الضمير لله والله خبره وهو ان كون الضمير لله يستلزم ان الكلام في قوة
ان يقال الله الله فيلزم تركيب الكلام من اسمين متحدين لفظا ومعنى ولا يتصور بينهما نسبة اسنادية
فكيف يتركب الكلام منهما والى جواب ما يرد على قوله في السموات وفي الارض متعلق باسم الله وهو ان اسم الله
علم فلا يتعلق به حرف الجر لان حرف الجر موضوع لافضاء معنى الفعل الى الاسم فلا بد ان يكون مدخوله
ومتعلقه اما فعلا او شبه فعل ولما كان اسم الله علما لم يكن فيه معنى الفعل فكيف يتعلق به حرف الجر
وكذا الله في قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله فانه وان كان بمعنى المعبود كالكتاب بمعنى المكتوب
الا انه اسم فلا يتعلق به حرف الجر وتقرير الجواب ان اسم الله تعالى وان كان علما الا انه يتضمن معنى وصفيا
وهو معنى المعبودية كما تضمن الحاتم معنى الجواد ويتضمن اسد معنى جريء ويتضمن نعامة معنى جبان فيتعلق
بها حرف الجر بهذا الاعتبار فيقال هو حاتم في طي وقيل في حق الحجاج اسد علي وفي الحروب نعامة صخاء
تنفر من صفير الصافر فاما باعتبار هذا المعنى الوصفي الضمني صح كل واحد من الحمل وتعلق حرف الجر قوله
او بقوله يعلم سركم عطف على قوله باسم الله اي ويجوز ان يتم الكلام عند قوله وهو الله ويتعلق الظرف بقوله
يعلم والمعنى انه هو المستحق للعبادة ويعلم ما في السموات والارض سر اهلهما وجهرهم والجملة
الفعلية خبر ثان لهو او هي الخبر والله بدل من المبتدأ قوله ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما
جواب عما يقال كيف يصح ان يكون الظرف معمولا ليعلم مع ان الذي هو كونه تعالى مستقرا فيهما تعالى شانه
عن ان يحيط به زمان او مكان قوله او ظرف مستقر عطف على قوله متعلق باسم الله اي ويجوز ان يكون
اسم الله خبرا اولا لهو ويكون في السموات وفي الارض خبرا ثانيا له كانه قيل انه الله وانه في السموات وفي
الارض لا على انه تعالى مستقر فيهما بل بمعنى انه تعالى عالم بما فيهما لا يخفى عليه شيء مما فيهما فصار كانه
كان ذاته مستقرة فيهما عبر عن كمال علمه بما فيهما عن كونه فيهما على طريق ذكر الملزوم وارادة اللازم فعلى هذا
يكون قوله يعلم سركم وجهركم بيانا وتقريرا للمعنى المجازي المراد بكونه تعالى فيهما قوله ولعل متعلق المصدر
اي لا يجوز ان يكون قوله في السموات وفي الارض متعلقا بمفعول العلم وهو سركم وجهركم على معنى يعلم سركم فيهما لان معمول المصدر

المصدر لا يتقدم عليه قوله ولعله اريد بالسر والجهر ما خفي كانه جواب عما يقال من ان قوله تعالى
ويعلم ما تكسبون تكرار بمنزلة عطف الشيء على نفسه لانه محمول على بيان احاطة علمه بجميع
اعمال عباده بقوله يعلم سركم وجهركم لان المراد بالسر افعال القلوب وبالجهر افعال الجوارح
فلا يخرج شيء من الافعال عن الجهر والسر كما لا يخرج شيء منها عن كونه مكسوبا فيلزم ما ذكرنا
واجاب عنه بان المراد بقوله تعالى وما تكسبون ما يصدر عن الانسان باستعمال جوارحه
وبقوله سركم وجهركم ما يظهر وما يخفى من احوال القلوب والانفس فلا محذور فان الكسب
في الاصل طلب الرزق ويقال للطيور الصيد وسباعه كواسب اي جوارح فلما كان المراد
بالمكسوب اعمال الجوارح ناسب ان يراد بما قبله اعمال النفس بقرينة المقابلة اعلم انه تعالى
ابتداء هذه السورة الكريمة بما يدل على وحدانيته وهو من قوله الحمد لله الى قوله ثم الذين
كفروا بربهم يعدلون ثم بين ما يدل على البعث والنشور ثم قررها بالاية الثالثة هذين
المطلوبين ثم ذكر ما يتعلق بالنبوة من تقرير منكريها ووصفهم بالتمرد والعناد
فقال وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين ذم المعرضين عن تامل
الدلائل تنبيها على وجوب التامل والتفكر فيها وبطلان الاكتفاء بالتقليد واتباع الهوى
قوله من اية فاعل تاتيهم زيدت فيه كلمة من لاستغراق الجنس في النفي كما في نحو قولك ما اتاني
من احد قوله ولذلك رتب عليه بالفاء يعني ولكونه كالدليل عليه يترتب عليه الاعراض عن الايات
كما يترتب الحكم على دليله رتب قوله فقد كذبوا على اعراضهم من الايات بالفاء السببية كما تدخل على ما
هو جزاء لازم لما قبلها سواء تقدم كلمة الشرط نحو ان لقيته فاكرمه او لم يتقدم نحو زيد فاضل
فاكرمه تدخل ايضا على ما هو سبب لما قبله فتكون بمعنى اللام السببية كما في قوله تعالى فاخرج منها
فانك رجيم وفي نحو قولك اكرم زيدا فانه فاضل فهذه الفاء تدخل على ما هو شرط في المعنى كما ان الاولى
تدخل على ما هو جزاء في الامر والمراد بالحق ههنا القران وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وصف الله كفار
مكة بثلثة اوصاف اولها كونهم معرضين عن التامل والتفكر في الدلائل والايات وثانيها كونهم مكذبين
فيها وهذا الوصف اقبح مما قبله لان المعرض عن الشيء قد لا يكذب به بل يغفل عنه وثالثها كونهم مستهزئين
بها وهذا اقبح مما قبله لان المكذب بالشيء قد لا يبلغ تكذيبه الى حد الاستهزاء فاذا بلغ هذا الحد فقد بلغ الغاية

Copyright © King Saud University